المصدر: الاهرام
التاريخ : ١٠ مايو ٢٠٠٩

الشعوب ضحية العولمة

كتب: أشرف أبوالهول

يعكس الانتشار السريع لمرض إنفلونزا الخنازير في دول العالم المختلفة ـ برغم الإجراءات الوقائية المشددة التي تتخذها الحكومات لاحتوائه ـ الوجه الآخر السلبي لظاهرة العولمة، ممثلة في فتح الحدود وسرعة التنقل، بل وتقدم وسائل الاتصال أيضا، فمنذ الإعلان عن أول إصابة، بالمرض قبل قرابة أسبوعين بالمكسيك اصبحنا نتحدث عن قرابة ٢٤٠٠ حالة علي طول عشرات الدول، ناهيك عن حالة من الرعب في بقية دول العالم بلا استثناء.

ومايحدث الآن مع مرض انفلونزا الخنازير سبق أن رأيناه من قبل مع مرض إنفلونزا الطيور وقبلهما مرض سارس، فما أن يتم الكشف عن أول حالة في بلد ما وتوصيفها حتي تتساقط الحالات علي طول المعمورة وعرضها، وكأنها اوراق لعب مسنودة علي جدار واحد، والفضل في ذلك كما قلنا يعود للعولمة ممثلة في سرعة التنقل نتيجة تطور وسائل السفر وبساطة إجراءاته، وبالتالي تزايد إمكانية نقل المرض من مكان لآخر لسهولة السفر،وما رأيناه مع النموذج المكسيكي خير دليل علي ذلك، حيث أثبتت معظم الدول التي وصلت اليها إنفلونزا الطيور ان المصابين إما

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

كانوا في زيارة للمكسيك أو تخالطوا مع مسافرين قادمين من هذا البلد.

ولو عدنا إلي الوراء قليلا وبالتحديد إلي أوائل الثمانينيات من القرن العشرين فسنجد ان العالم

لم يكن يعرف كلمة" إيدز"، وهي الاسم المختصر لمرض نقص المناعة المكتسب، حيث كان المرض كامنا في ادغال إفريقيا، وفي أغلب التقديرات في دولة زائير - التي سميت فيما بعد بالكونجو الديمقراطية - ولكنه انتقل مع مواطنين أمريكيين كانوا يعيشون فيها او يزورونها وانتشر في العالم كالسرطان نتيجة عمليات نقل دم ملوث وممارسات جنسية غير مشروعة، ليكون هذا أول درس قاس تتعلمه البشرية من العولمة، فلولا سهولة السفر من وإلي المنطقة التي نشأ فيها المرض لربما كان قد زال من الوجود قبل ان نسمع عنه، فعبر التاريخ اصيبت مناطق كثيرة بأوبئة غير معروفة وانتهت دورات تلك الأوبئة أو مات كل اهالي تلك المناطق وماتت معهم تلك الأوبئة دون أن يخرج الوباء من نطاق المنطقة التي ولد وترعرع ومات فيها، وإلا فأين ذهب الكثير من الشعوب التي سمعنا عنها مثل السلتيين وربما العماليق وقوم ثمود.

وكما يقول المؤرخون فإن اشهر الأمراض والأوبئة في في عصرنا الحديث كانت متوطنة

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

منذ أزمنة قديمة في أماكن معينة من العالم مثل الدرن(السل) الذي كان في أوروبا لقرون، وكان أهلها قد تعايشوا معه ومع طرق التعامل معه قبل أن يؤدي خروجهم إلي العالم مع ماسمي بالفتوحات والاستعمار إلي نشر المرض علي طول وعرض الكرة الأرضية.

وإذا كان انتشار الأوبئة خارج نطاق مناطق ظهورها الأول يتم عادة بغير قصد، فإن التاريخ يذكر أيضا أن الأوروبيين هم أول من قاموا بنشرها عمدا عندما كانوا ينقلون أغطية ملوثة بامراض متوطنة في بلدانهم ولكنها تحت السيطرة لتحور الأجسام للتكيف معها إلي المناطق الأخري في العالم الجديد للقضاء علي اعدائهم، وهو ماساهم مع استخدام السلاح في إبادة نحو ١٢٠ مليونا من السكان الأصليين من الهنود الحمر بالامريكتين.

ولايدفع الإنسان المعاصر ثمن عولمة التنقل فقط ولكنه يدفع وبشكل أكبر ثمن عولمة الاتصال، حيث أدي تحول العالم إلي قرية إلكترونية إلي شيوع الخبر في جميع أنحاء المعمورة بمجرد حدوثه، وبالتالي أصبح مجرد تشخيص حالة واحدة لمصاب بمرض وبائي في أي مكان علي سطح المعمورة سببا في انتشار الهلع في جميع أنحاء العالم حتي في القري النائية، وبالتالي يتسبب في اتخاذ إجراءات

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وقائية مكلفة سواء للفرد أو السلطة، وعلي سبيل المثال فان ظهور إنفلونزا الخنازير في المكسيك أدي إلي إصدار قرار بذبح جميع الخنازير في العديد من الدول كمصر وسوريا، وهو مايعني خسارة عشرات الملايين من الدولارات علاوة علي خسائر مادية للأفراد سواء المتضررون من ذبح الخنازير أو حتي الأشخاص العادين الذين يدفعهم الخوف من التعرض للعدوي إلي شراء المضادات الحيوية والكمامات الواقية وتغيير العادات الغذائية والصحية بشكل عام، مع العلم أنه لامصر ولا سورياولا معظم البلاد التي اتخذت الإجراءات الوقائية قد وصل اليها المرض بعد.

والخلاصة هي. إن العولمة قد تحمل من الشرور مالايمكن احصاؤه مادامت الدول التي تدعي تبنيها غير مستعدة للاعتراف بمخاطرها ومواجهتها، ومن ذلك انها قد تصبح الحاضن الطبيعي للأوبئة وانتشارها، ومنها إنفلونزا الخنازير والطيور وكل إنفلونزا قد ينتجها سوء استخدام الإنسان للبيئة المحيطة به.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية